

تفسير البحر المحيط

@ 279 @ المقتول فقتلوا بالسيف عن آخرهم ، هذا كله مروي ويحتمل أن يكون قوله : { لَا تَرْجِعُوا } إلى آخر الآية من كلام ملائكة العذاب ، وصف قصة كل قرية وأنه لم يرد تعيين حضواء ولا غيرها ، فالمعنى على هذا أن أهل هذه القرى كانوا باغترارهم يرون أنهم من الممكن وأنه لو جاءهم عذاب أو أمر لم ينزل بهم حتى يتخاصموا ويسألوا عن وجه تكذيبهم لنبيهم فيحتجونهم عند ذلك بحجج تنفعهم في ظنهم ، فلما نزل العذاب دون هذا الذي أملوه وركضوا فارين نادتهم الملائكة على وجه الهزء بهم . . .
{ لَا تَرْجِعُوا } { وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْأَلُونَ } كما كنتم تطمعون لسفه آرائكم . . .

وقال الزمخشري : يحتمل أن يكون يعني القائل بعض الملائكة ، أو من ثم من المؤمنين ، أو يجعلون خلقاء بأن يقال لهم ذلك وإن لم يقل ، أو يقوله رب العزة ويسمعه ملائكته لينفعهم في دينهم أو يلهمهم ذلك فيحدثوا به نفوسهم . . .
{ وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتِرْتُمْ فِيهِ } من العيش الرافه والحال الناعمة ، والإتراف إبطار النعمة وهي الترفة { لَعَلَّكُمْ تَسْأَلُونَ } غداً عما جرى عليكم ونزل بأموالكم ومساكنكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة ، أو { ارْجِعُوا } واجلسوا كما كنتم في مجالسكم وترتبوا في مراتبكم حتى يسألكم عبيدكم وحشمكم ومن تملكون أمره وينفذ فيه أمركم ونهيكم ، ويقولوا لكم : بم تأمرون وماذا ترسمون ، وكيف نأتي ونذر كعادة المنعمين المخدمين ، أو يسألكم الناس في أنديتكم المعاوين في نوازل الخطوب ويستشيرونكم في المهمات والعوارض ويستشفون بتدابيركم ويستضيئون بآرائكم أو يسألكم الوافدون عليكم والطماع ، ويستطرون سائح أكفكم ويميرون إخلاف معروفكم وأياديكم إما لأنهم كانوا أسخياء ينفقون أموالهم رياء الناس وطلب الثناء ، أو كانوا بخلاء فقيل لهم ذلك تهكماً إلى تهكم وتوبيخاً إلى توبيخ انتهى . . .

ونداء الويل هو على سبيل المجاز كأنهم قالوا : يا ويل هذا زمانك ، وتقدم تفسير الويل في البقرة . والظلم هنا الإشراف وتكذيب الرسل وإيقاع أنفسهم في الهلاك ، واسم { زَالَت } هو اسم الإشارة وهو { تِلْكَ } وهو إشارة إلى الجملة المقولة أي فما زالت تلك الدعوى { دَعْوَاهُمْ } . قال المفسرون : فما زالوا يكررون تلك الكلمة فلم تنفعهم كقوله { فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ } { لِمَا نُهُمْ } { لَمَّا رَأَوْا } { بِأَسَدًا } والدعوى مصدر دعا يقال : دعا دعوى ودعوة كقوله { دَعْوَاهُمْ } { فِيهَا } لأن المويل كأنه يدعو الويل . وقال

الخوفي : وتبعه الزمخشري وأبو البقاء : { تَلَاكَ } اسم { زَالَات } و { دَعَوْاهُمْ } الخبر ، ويجوز أن يكون { دَعَوْاهُمْ } اسم { زَالَات } و { تَلَاكَ } في موضع الخبر انتهى . وهذا الذي ذهب إليه هؤلاء قاله الزجاج قبلهم ، وأما أصحابنا المتأخرون فاسم كان خبرها مشبه بالفاعل والمفعول ، فكما لا يجوز في باب الفاعل والمفعول إذا ألبس أن يكون المتقدم الخبر والمتأخر الاسم لا يجوز ذلك في باب كان ، فإذا قلت : كان موسى صديقي لم يجز في موسى إلى أن يكون اسم كان وصديقي الخبر ، كقولك : ضرب موسى عيسى ، فموسى الفاعل وعيسى المفعول ، ولم يناع في هذا من متأخري أصحابنا إلا أبو العباس أحمد بن عليّ عُرِّف باب الحاج وهو من تلاميذ الأستاذ أبو عليّ الشلوبين ونبهائهم ، فأجاز أن يكون المتقدم هو المفعول والمتأخر هو الفاعل وأن ألبس فعلى ما قرره جمهور الأصحاب يتعين أن يكون { تَلَاكَ } اسم { زَالَات } و { دَعَوْاهُمْ } الخبر . .

وقوله : { حَصِيداً } أي بالعذاب تركوا كالصعيد { خَامِدِينَ } أي موتى دون أرواح مشبهين بالنار إذا طفتت و { حَصِيداً } مفعول ثان . قال الخوفي : و { خَامِدِينَ } نعت لحصيداً على أن يكون { حَصِيداً } بمعنى محصودين يعني وضع المفرد ويراد به الجمع ، قال : ويجوز أن يجعل { خَامِدِينَ } حالاً من الهاء والميم . وقال الزمخشري : { جَعَلْنَاهُمْ } مثل الصيد شبههم في استئصالهم واصطلامهم كما تقول : جعلناهم رماداً أي مثل الرماد ، والضمير المنصوب هو الذي كان